مين...؟*

مين.....؟؟ مين...؟

صوت تكسر أوراق الشجر الجاف لوقع أقدام في الباحة الخارجية!! أقدام ليست مستعجلة، ولكنها ليست بطيئة أيضاً. ليست لطفل، ولا تفرقع كحذاء امرأة، تحمل ثبات وتصميمَ مَنْ يريد الوصول إلى هدف محدد ومعروف سابقاً.

نادر وثمين هو الصمت لدى (فضة)، هو خوذة حنون تلتئم برأسها، رداء يشرنقها **لتلتقي تلك المرأة في الداخل**.. داخل شرنقة الصمت.. صمتها قطعة مغناطيس تجميع من خلاله شظاياها التي تناثرت بين غرفات منازلهم.. صخب أخواتها.. قرقعة التلفاز.. تذمر أمها الصامت المنكسر.. حنين امرأة أبيها السورية الدائم إلى ساحل (طرطوس) والمناقيش بالزعتر.

في غرفة نوم البنات، وعندما تشرع في حل واجباتها المدرسية، تعطي ظهرها للمنزل وتستقبل الحائط، وتستغرق في عالم رطب وهشّ، يجعل ملامح وجهها تلين. فترتدي خوذتها وتستغرق في حل واجباتها، ورصد الرسومات التي يصنعها الطلاء المتقشر فوق الحائط، **وعندها ربما تلتقي تلك المرأة المصنوعة من مادة غبارية لامعة. لربما تكون غباراً لنجمة اندثرت وصنعت من خلاصة بريقها هذه المرأة التي تباغت (فضة) كثيراً** ولا سيما في تلك اللحظة التي تضل عنها روحها، وعندما تعود تكون قد تأبطت هذه المرأة وبريق المجرات.

كثيراً ما يباغتها شعور بأنها يجب أن تكون في مكانٍ آخر تؤدي شيئاً آخر.. لا تدري ما هو أو كيف؟؟

الضوضاء تنهكها، تتغذى على ثمار روحها، تختفي عنها خريطة ذلك المكان الذي تقبع فيه المرأة..... مرأة غبار النجوم، وتظل نافرة ونائية في الداخل تريد أن تطل برأسها لكن الضوضاء تمنعها. أحياناً كثيرة تشاهدها في المرآة خلف تقاطيعها.. محمومة وشهوانية، ولكنها تنسحب بسرعة وتنزلق إلى مغاور مجهولة حالما يباغتها زعيق أمها وأخوتها الصغار.

مين....؟

ولكن مَنْ سيأتي الآن إلى مسكنهم؟؟ مَنْ سيدخل في هذه الساعة ولم تسمع صوت الباب الخارجي لمنزلهم؟

منزلهم واحد من الفيلات التي يهبها الجيش لضباطه، متشابهة وعملية، أما هي فتراها كأبراج الحمام.

تتكون من طابقين: الأول لها ولأمها وأخواتها، والطابق العلوي لزوجة أبيها السورية. والأب يتقافز فوق الدرج صعوداً ونزولاً، وعندما يسكر في نهاية الأسبوع ينام وحيداً في المجلس الخارجي.

حينما يخرج الجميع إلى التنزه، أو يتناثرون تحت شجر إحدى الحدائق العامة، ترفض (فضة) دوماً أن ترافقهم، هي فرصتها الوحيدة لمخاتلة غبارها المفضفض المغوي.. هناك، تريد أن تتقصّى ملامحها بجسارة دون أن يباغتها صوت متلصص يجعل امرأة غبار النجوم تفر وتختفي في الداخل أياماً مديدة.

تتسلل وإياها إلى الطابق العلوي وترتديان قميص نوم السورية وقبقابها الخشبي المغناج، ثم تنحدران إلى الأسفل، وتهاتفان (علي) الذي يطارد (باص) الفتيات، ويكتب رقم هاتفه على لوحة كبيرة ويرفعه ليراه الجميع، وحينما تسمعان صوته تغلقان سماعة الهاتف بخجل واضطراب، وفي اتصال أخير أرسلت المرأة النجمية قبلة طويلة فرقعت في سماعة الهاتف ثم تضاحكتا برعونة وصخب دون أن تقولا حرفاً واحداً (لعلي)، اتجهتا إلى المطبخ الخارجي وشرعتا في صناعة بطاطس مقلي لتستمتعا بالتهامها مع الشطة الحارة.

مين...؟

المطبخ في الباحة الخارجية، يلتصق بسور الفيلا، يفصله عن المنزل ممر طويل مضاء ببعض المصابيح التي تكسّر معظمها نتيجة لعب الكرة المتصل في ذلك الممر.

مين...؟ وجعلت نبرة صوتها هذه المرة أشد حدةً ووضوحاً. وتساءلت وهي تتطلع إلى عيني المرأة الغبارية، التي كانت بدورها قد اطمأنت تماماً لخلو المكان، وغدت تقف إلى جانبها في المطبخ، هل تراه أخي (محمد) قد نسي شيئاً وهم في الحديقة وعاد لجلبه؟؟ لأنهم حينما يذهبون إلى حديقة (الملز) لا يعودون إلا في ساعة متأخرة من الليل؟؟
وضعت السكين التي كانت تقطع بها (البطاطس) جانباً، واتجهت إلى باب المطبخ، لتطل...

كان الممر مظلماً نوعاً ما ولا يضيئه سوى مصباح المدخل الرئيسي المتواري عنه، وصالة الطابق العلوي المضاءة.

وبالكاد استبانت تفاصيل الممر لأنه من خلف الزاوية البعيدة التي توضع أسفلها أنابيب الغاز، من منتصفها بالتحديد **رأت كتلة سواد، مدورة تبرز ببطئ وحرص شديد من خلف زاوية الجدار**، في تلك اللحظة تماماً التي كادت فيها أن تنسحب متنهدة بارتياح وترجع أصوات الأقدام إلى هلوسات وتخيلات.

تسمَّرت لوهلة.. هذا الخرس الذي توقعت أن تقول بعده: آه.. فلان.. لقد أرعبتني، ظننتك حرامياً، ولكنها لم تقل، فالكرة السوداء المدورة عادت لتختفي فجأة..!! يفصلها عن باب المنزل الداخلي أربع خطوات، هل تجري إلى هناك وتقفل الباب من الداخل أم تعود لتحضر السكين؟؟ **وفي تلك اللحظة عادت الكرة لتظهر ببطء وحذر وقد تبينت تحتها، وجهاً مثلثاً نحيفاً.**

وزعق شيء في فؤادها بهلع، ربما هذا هو الحرامي..، هذا الذي يسمونه الحرامي، وهذا الذي تتداول النسوة قصصه في اجتماعاتهن، كانت تظنه كالموت لن يمر من هنا أبداً.

ولا تذكر كيف قطعت الخطوات الأربع إلى الباب الداخلي لكنها هجست بأن المرأة النجمية هي التي رفعتها من تحت إبطيها بخفة وأسرعت بها إلى الداخل.

وتسمم الهواء من حولها، تحول إلى كتلة حديدية مزرقة، وظلت لحظات طويلة تحاول أن تغلق الباب ولكن لم تسعفها يداها المرتجفتان، أحسته من خلفها، ومن يمينها، وخشيت أن تدخل كتلة السواد المدورة من طاقة الحمام التي لا تمتلك شباكاً حديدياً يغطيها أو من الباب الأمامي، فهرولت إليه لتتأكد من إقفاله وهي ترتجف كأنها تحت نوبة صرع شديدة...، ولم تنسَ بوابة المقدمة، ولكنها لم تجسر على إقفالها.

***

هذه البوابة نفسها التي وقفت خلفها بعد عام بالضبط، ترفع عينيها بصعوبة لتلتقي عيناها بوجه أبيها، بينما جفونه السفلية ازدادت انتفاخاً، وتكثفت الكتلة ما بين حاجبيه، نتيجه لمزاج سيء بعد سهرة البارحة، كان يحمل في يده مدخنة ذهبية صغيرة، ويقف قلقاً وكأنه يؤدي مهمة يريد الانتهاء منها سريعاً. (الدخون) الذي يخرج من المدخنة كان كثيفاً ورخيصاً، وكانت تحس بالعرق الكثيف في قدميها. خافت أن تخطو فتتعثر في صندلها الأبيض ذي (السيور) والكعب العالي.

ولم يكن المشهد مضبباً أمامها بفعل البخور، بل بفعل (التول) الأبيض والطرحة التي تغرس مخالبها في رأسها كنمرة كاسرة!!

مين.....؟؟

لم يطلب عريسها الرؤية الشرعية!! لم يجرؤ على هذا ربما... ، قادم من الجنوب العام الماضي، ويعمل في البريد إذا لابد أنه يشبه عمها (مسفر).

مين.....؟؟

في تلك الفترة القصيرة التي تفصل بين قدوم مهرها ويوم الزفاف حظيت ببعض الامتيازات، كان باستطاعتها أن تخرج إلى السوق مرتين في اليوم، وأن تمتنع عن إعداد العشاء، وأن تغلق باب الغرفة دون أخواتها لتجرب ثيابها الجديدة التي لم يكن هناك الكثير منها، فقد حرص أبوها على الحد الأدنى من المشتريات. لأنه سيدفع مهرها إلى خطيبة أخيها الذي سيتزوج في عطلة الربيع القادمة، ولذا وللسبب نفسه كان الاحتفال بالزفاف بسيطاً ضيقاً في منزلهم بإحدى فلل الضباط: ذبيحة، وخمس نساء من أهل العريس فقط.

في يدها باقة ورد ولا تدري من الذي زرعها داخل يدها، قد تكون زوجة أبيها السورية، ولكن الورد بدا متورماً مكتوماً، فتشهت في تلك اللحظة جدار غرفتها وقشور الطلاء التي اكتشفت فوقها مؤخراً أميرة شقراء بقبعة من مخمل، تحمل مظلة دانتيل وتتنزه بجانب بحيرة، وكانت المرأة النجمية تسترق النظر إليها بين الفينة والأخرى، واستغربت ذلك الكم الوافر من السخرية في نظراتها، وتساءلت في أعماقها هل أبدو حمقاءَ وساذجة في ثوبي وطرحتي البيضاء؟؟!!

ترتجف. ما من باب ستقفله ويرد عنها القادم، أبوها أمامها يزمزم، وإحدى أخوات العريس رفضت أن يكون هناك أغانٍ حتى لا يصب في آذانهم معدن مصهور حار في الآخرة!!

النسوة يهدرن في الداخل وهي واقفة هناك، وأمها تحاول أن ترد الصبية الصغار عن ثوبها الأبيض، تقف أمام الباب الذي يفصل داخل البيت عن البوابة الأمامية، في تلك النقطة التي ستمتد يد سريعة وحاذقة في أية لحظة الآن وتقطع جسر عودتها للداخل إلى الأبد.

مين....؟؟

جلبة عند الباب تبينت فيها ضحكة عمها مسفر، وابتدأ الهواء يتسمم بحديد أزرق..، التفت أبوها إليها في نظرة أخيرة ثم تقدم نحو الباب مشرعاً يده، لم تكن تحب جسم أبيها وتكوينه، كانت ترى فيه بعض القمأة ولا سيما عندما يتقافز على الدرج ما بين الطابقين، وعلى الرغم من هذا عندما تلقفه أبوها ليسلم عليه شب الرجل على أطراف قدميه فقد كان أقصر من أبيها!! ولم يكن رأساً مستديراً تحت وجه مثلث، كان كل شيء مستديراً: الوجه والعينان، والأنف بينهما حاد وأقنى كطائرة الكونكورد.

جلبة وضوضاء. تزاحمت النساء خلفها ليحظين بلمحة خاطفة من العريس، توقفت عن الصياح مين....؟؟ ونكست عينيها ولم تعد تتأمله.
تماسكت وحاولت أن تأخذ نفساً من الهواء المزرق حولها، قالت ببطء شديد: لدي الكثير من الوقت لأتأمله، وربما سيكون أجمل تحت مساقط ضوء مختلفة.
وبعد أشهر أخذت تنتحب بين يدي أمها بصوت منخفض خشية أن يسمعها أبوها: لا أريده.. أريد العودة لكم.
قالت أمها ملتاعةً: كيف تقولين أنك لا تريدينه ولم تنجبي طفلك الأول بعد.. انتظري أن يأتي الطفل الأول. فأنا لم أحب أباك ألا بعد أخيك (محمد)..!!! فقط انتظري..

وأخذت تنتظر... ولكن هناك خواء مفجع في الداخل... ورياح ووحشة..؛ وكانت تعلم أن هذا بسبب هجران المرأة التي من غبار المجرات... تركتها بجسارة وبلا مبالاة... وغدت تشك بأنها ذهبت إلى أختها عائشة، فهي تمضي أوقاتاً طويلة أمام المرآة، وترفض مرافقتهم إلى الحدائق، بل تكتفي بحدائق البهجة والأنس التي تزرعها تحت أجفانها تلك المرأة الشهوانية اللعوب، والهالة المتوهجة التي غدت تحيط بعائشة عندما تضحك وتكلم من حولها وتنثر الغبار اللامع على الأثاث وفي الساحات الخارجية: غادر جميع هذا (فضة) وأصبحت فضة..... خضراء صدئة، ولم تعد تبالي بالسؤال.....

مين؟؟؟؟

العزيزة أحلام

اعتاد ذوقي كقاص على التقاط الأمور الفنية في النص اثناء قراءتي، غصبا عني، و يمكن ان نحتفظ بيننا بالأشياء الفنية التي تبرز امامي بتلقائية دونما اعتساف. فبعض الأخطاء الإملائية يمكن تصحيحها و الكلمات العامية مثل (سيور) (تجميع) و دقة اللفظ في جمل نادر وثمين هو الصمت لدى (فضة)، كلمة السكون افضل الإحالة الى العم مسفر تم مرتين دون توظيف حقيقي له

قراءتي تنسجم لو ان العبارة التالية:
ولم يكن رأساً مستديراً تحت وجه مثلث، كان كل شيء مستديراً: الوجه والعينان، والأنف بينهما حاد وأقنى كطائرة الكونكورد.
كانت كالآتي
ولم يكن رأساً مستديرة تحت وجه مثلث فقط، كان كل شيء مستديراً: الوجه والعينان، والأنف بينهما حاد وأقنى كطائرة الكونكورد.

الذات والآخر في قصة مين؟
لأميمة الخميس

القصة تتحدث بصوت الراوي العليم عن فتاة في وسط لا تترك لنا القصة استنتاجه بل تؤكد انه في الملز في العاصمة السعودية الرياض مما يعطينا تلقائيا الشعور بالوضع الاستثنائي المعروف للمرأة في ذلك العالم.
تبرز في ثنايا القصة بالإضافة الى الشخصيات الطبيعية كالأب و العم مسفر و الأم و ضرتها السورية....الخ شخصيتنا شبحيتان الأولى هي التي تترائى للفتاة و اشارت اليه القاصة بـ (**المرأة المصنوعة من مادة غبارية لامعة.) و نراها تصاحب البطلة كظلها و تتواطأ معها في بعض الأعمال السرية الممتعة مثل مغازلة الفتى الذي يطارد حافلة الفتيات. و يمكن تفسير ذلك الشبح الغباري الشفاف بذات البطلة الحالمة و الطهرانية في عذريتها التي تتجسد لها أحيانا في شكل انثى شفافة او غبارية كما تصفها الكاتبة.**
الشخصية الشبحية الأخرى هي تلك الكتلة السوداء التي تجفل البطلة و تخيفها و هي تراها تقترب من مكان مأمنها في بيتهم الواقع في الملز. وهي تمثل مستقبل الفتاة و مصيرها القادم وهو حدس انثوي استباقي لما ستؤول اليه حياتها تجسد لاحقا في شكل زواجها من رجل لم تره و لا تعرفه حق المعرفة إلا بأنه قادم من الجنوب و لا بد انه يشبه عمها مسفر، هنا نرى مدى إنعكاس اثر البيئة المحافظة بالأخص فيما يخص المرأة إذ ان المرأة في ذلك المجتمع المغلق لا تتوفر لها فرصة رؤية العديد من الرجال فتلجأ الى التخمين و الحدس (قادم من الجنوب العام الماضي، ويعمل في البريد إذا لابد أنه يشبه عمها (مسفر).) القصة
بعد زوج البطلة فضة ينتهي حلمها المنطلق من ذاتها الشفافة التي آخر عهدها بها عندما كانت تنظر لها بسخرية
و تتملك حياة البطلة الكتلة السوداء(الزوج القبيح) القادم من الريف و تضع القاصة للقارئ صفة مشتركة بين الزوج و الكرة
فالزوج يشبه اباها قصير و مكور
و الشيئ الأسود مكور
ثم ان الكرة لها وجه مثلث
و كذلك الزوج

نقرأ معا (<u>وفي تلك اللحظة عادت الكرة لتظهر ببطء وحذر وقد تبينت تحتها، وجهاً مثلثاً نحيفاً</u>.) النص

و
(ولم يكن رأساً مستديرة تحت وجه مثلث فقط، كان كل شيء مستديراً: الوجه والعينان، والأنف بينهما حاد وأقنى كطائرة الكونكورد) النص